

## كتاب (الطفل الموهوب)

كتاب ألفته «ماريان شيفيل» وعربه الدكتور رياض عسكر وراجعته الاستاذة احمر التركي.

يؤرقني في هذه الفترة من حياتنا: «المدرسة» في مصر والمنطقة العربية حيث يشكل أبنائنا الحاضر والمستقبل وكلاهما مستهدف ونحن على مفترق الطرق وسوف نواجه مع العالم منعطفات جديدة.

في رأيي ورؤيتي أنه ليس التنمية أو الايديولوجيات أو الاقتصاد ليست هذه كلها على خطورتها، هي التي ستحظى بالأولوية.

الصراع سيكون بين الحضارات.. الصراع سيكون حول الثقافات ومن هنا تأتي أهمية بناء الإنسان.. الإنسان العادي والإنسان الموهوب، والطفولة، في نظري أهم مراحل التشكيل.

إن الأطفال الموهوبين في شرقنا العربي قلما يحظون بالرعاية البصيرة التي تكتشف قدراتهم وتنميها في السنوات الأولى من حياتهم المدرسية.

مع أن الأطفال الموهوبين، بهم، كبارا، ترقى الشعوب فهم نجومها وأعلامها في الادب، والفن، والعلم، والصناعة، والحكم.

إن مسئوليتنا كبيرة، في البيت والمدرسة، ازاء المواهب ورعاية أصحابها في وقت مبكر من حياتهم وتزويدهم بالتدريب الخاص اللازم لترقية مواهبهم بل إرشادهم في أمورهم الخاصة إرشادا يمكنهم من إنشاء علاقات طيبة مع غيرهم بالإضافة إلى تهئية عوامل النجاح لهم في التلاؤم مع بيئتهم.

لقد استعمل المختصون وغيرهم مصطلحات متنوعة لتسمية الطفل الموهوب منها العبقرى والمتفوق والنبه وما إلى ذلك وكلها تشير إلى القدرة البارزة وتؤكد التفوق العقلى.. ولكن يجب أن يؤخذ في الاعتبار، التضج الوجداني والقدرة على التلاؤم الاجتماعى، والصحة البدنية.

وتقول «لينا هو لنجورث» إن الطفل ذا الذكاء العالى حاجته أشد من حاجة الطفل العادى لإضافات تزداد إلى المنهج المعتاد فى المرحلة الابتدائية، وإن أغلب مشاكله تظهر فى الفترة السابقة لسن الثانية عشرة.

إن الابتكار أو الابتداع هو العلامة المميزة للموهبة ويكاد الابتكار يتلازم مع القدرة العقلية العالية المستوى.

وسواء أكانت هذه القدرة الابتكارية المقترنة بالذكاء العالى، وهو عنصرها المألوف، تؤدى فعلا إلى إنتاج أشياء ذات قيمة فعلية أم لا، فهو أمر متوقف على عناصر أخرى ليس من السهل تحديدها، فهناك عامل الباعث القومى الداخلى الذى يؤثر تأثيرا ظاهرا فى الوصول نحو الكفاية القصوى.. وهناك ظروف أخرى تكيف «الانتاج أو تحكمه.. إذ كيف نعلل عجز عدد كبير من الموهوبين عن تحقيق استعدادهم تحقيقا كاملا؟ على الرغم من الذكاء العالى والموهبة الخاصة. إن التوتر والقلق على سبيل المثال (يحبس) إنتاج الطفل العقلى والاجتماعى بل يمنعه من الظهور.

إذن هناك عنصر استثارة الهمة وتعهدها بواعث الإنشاء والخلق وتربية الموهبة وتعهدها بالتقدير والشحذ كما يتعهدهم الزارع النبات بالسقيا.. حتى يعطى الموهوب عطاءه فإن واجبه نحو بيئته ومجتمعه أكبر من واجب الذين لم يكن لهم حظ من الموهبة أو الذكاء الخارق واللماح.

وقد حددت الأبحاث، إلى حد كبير الصفات التى يتمتع بها الموهوبون من الأطفال.. فالطفل الموهوب:

\* لديه قدرة فائقة على التعليل وفهم المعانى والتفكير المنطقى وتمييز العلاقات.

\* الطفل الموهوب أسرع من غيره فى التعلم وأيسر استجابة والتقاطا.

\* يبدى حب الاستطلاع العقلى.

\* لديه بصيرة نافذة فى حل المشاكل.

\* ميوله أوسع مجالا من غيره.

\* أكثر قدرة على القراءة وأكثر استيعابا وأقدر على الفهم وأكفأ استعمالا للغة.

\* يتمتع بالملاحظة الحادة.

- \* يظل اهتمامه بالشئ مدة أطول وميله إلى المعنويات أكبر من ميله إلى المواد العملية.
- \* يصل إلى مرحلة النمو أكثر نكيرا.
- \* يتفوق في الصفات المحبوبة للشخصية.. وهو أكثر تأدية وتعاوناً وطاعة وقبولا للاقتراحات.
- والطفل الموهوب لطيف العشرة وهو أكثر حساسية وفي الوقت نفسه عنده روح الفكاهة.
- \* لديه الشجاعة في نقد نفسه
- \* يستعصى على الغش
- \* تسنح له فرص أكثر للزعامه.
- كمجموعة لا يلبثون طويلا حتى يتعدوا مرحلة الكتب المؤلفة للأطفال، وكثيرا ما يتجهون نحو كتب الراشدين ومجلاتهم. ويقل اهتمامهم بالهزليات في وقت مبكر عن أقرانهم.
- والأطفال الموهوبون الذين في سن الثامنة يصرفون في القراءة ثلاثة أمثال الوقت الذي يصرفه أقرانهم فيها أسبوعيا...وهم في جميع أعمارهم قراء نهمون.
- وتقول اختبارات الاستعدادات إنه مع أن عباقرة الفن فعلا أذكاء جدا إلا أنه ليس من المحتم أن يكون كل المتفوقين في الذكاء موهوبين في الفن بل إن البحث قد أدى في الحقيقة إلى أن العلاقة طفيفة بين الذكاء كما تقيسه الاختبارات وبين القدرة الموسيقية أو الفنية، ولكنها أقوى بينه وبين اللغات والميكانيكا، والعمليات الحسابية.
- ومن الطريف قول المؤلفة إن اختبارات الاستعداد الفنى لا يمكن أو لم تنل الثقة بها ما يبرر الاعتماد عليها في الحكم النهائي على الاستعدادات.. ومع ذلك فقد ابتكرت اختبارات لقياس بعض القدرات الفنية.. لقد استنتج «نورمان تير» أحد مبتكرى الاختبار، بناء على بحوث تجريبية مستفيضة مستمدة من قصص حياة الناس عن أنفسهم، أن الموهبة الفنية، تكمن في ست صفات:
- \* التوافق الدقيق بين العين واليد
- \* الطاقة والتركيز.

\* الذكاء

\* سهولة الإدراك (حدة الملاحظة)

\* الخيال الابتكاري والحكم الجمالي

وتتحدث المؤلفة في هذا الكتاب عن المشاكل الخاصة للطفل الموهوب. فبالإضافة إلى مشاكل النمو التي يصادفها الأطفال كلهم بدرجات متفاوتة. فإن الموهوبين منهم تصادفهم. أحيانا، مشاكل فريدة أيضا.. ومن أمثلتها ذلك الموقف العدائي الذي يتخذه بعض أقرانهم وبعض الراشدين حيال تفوقهم. ومن مصادر قلقهم أيضا نواحي العجز الناتجة من الهوية بين مستواهم العقلي المتقدم وبين غوهم الجسدى والاجتماعى والوجدانى الذى هو أقل تقدما.. ونجد سببا آخر لمشاكلهم فى المنهج الذى لا يستثير قدراتهم الممتازة استثارة كافية، أو الذى لا يعطى ميولهم المجال الكافى لتحقيقها.

وتقول المؤلفة بفصل خاص للموهوبين لأن الدراسة مع أقران متساوين فى العقلية يقلل من احتمال الشعور بالغرور بسبب التفوق.

ومن المبادئ الأساسية للتربية فى ظل الديمقراطية مبدأ تكافؤ الفرص وليس أبعد عن المساواة من معاملة غير المتساوين معاملة واحدة.

فعمل ترتيب خاصة من أجل الطفل الموهوب إذن إجراء ديمقراطى لأنه يمهد له الفرصة لنمو استعداداته المميزة كما يمهد الفرصة للأطفال متوسطى القدرة والضعاف.

ومع هذا فهناك رأى مقابل أو مخالف يقول بالفصل الواحد للأطفال من قدرات متباينة فهذا يتيح لهم حين يعملون معا ويلعبون معا أن يسعون نحو أهداف واحدة وأن يضعوا الخطط سويا وأن يملأوا فى خبرة التحصيل باستخدام القدرات المميزة لكل فرد. فإن مثل هذه العملية تشبه مواقف الحياة الواقعية للراشدين، وتعد الموهوبين من الأطفال بخبرات قيمة من اجتماعهم بغيرهم ممن تختلف ميولهم ومواهبهم عنهم، فيتدربون بذلك على القيادة، وعلى الانقياد بالإضافة إلى احترام كرامة الفرد.

ومن العوامل المفيدة فى نظام الفصل العادى أن الأطفال الأقل نباهة يستثيرهم وجود زملائهم الأقوياء معهم فى الفصل نفسه.. ويكاد يعادل ذلك فى الأهمية، تمكن الأطفال الموهوبين من تعلم المهارات البدنية لهم خلال الاختلاط المستمر بأطفال مدرستهم ومستوى غوهم.

والرأيان لكل منهما وجاهته.

وأحد الحلول البينية أو الوسطية: طريقة الوحدات أى برنامج حول وحدة من الخبرة وهذه فائدتها:

\* تمكن كل تلميذ من العمل بسرعة وعلى مستواه الخاص به. ونظرا لاتساع نطاق ميادين الاهتمام التى بها، تعطى التلميذ الحرية اللازمة لأقصى ما يستطيعه من استكشاف وبحث وتعبير ابتكارى ويدخل فى برامج المدرسة فى الدول المتقدمة:

- مجالس للطلبة - التحام بالبيئة وكتابة مقالات لصحف البيئة - المساهمة فى حملات البيئة واحصاءاتها أو انتخاباتها.

- مقابلة خبراء البيئة.

- استعراض شامل لموارد البيئة

وما أحوجنا إلى هذا النظام فإن معرفة البيئة، مفتاح المحافظة عليها.

ومن اهتمامات المدرسة الحديثة وبرامجها لطلبتها:

- مقابلة الطلبة.. وفى مقدمتهم الموهوبون، شخصيات من المقيمين فى البيئة كرجال الأعمال والموظفين الرسميين فى المدينة.

- دراسة موضوعات من هذا الطراز:

الحكومات - القانون البرلمانى - الدولة -

- جغرافية البيئة - تاريخ البيئة

- حياة عظماء الرجال

- حياة أحد الأبطال المحليين.

- دراسة مشكلة ما كتكاليف بناء بيت من مواد البناء والتركيبات والتوصيلات.

- استعمال الآلة الكاتبة والآلة الحاسبة وآلة السينما.

- المساهمة فى مشروع للبيئة أو فى إحدى الحملات

- القيام برحلات مستقلة لجهات فى البيئة مثل:

\* جلسة فى محكمة

\* بعض المصانع

\* مستشفى

\* مكتبة عامة

\* متحف

\* الادارات الحكومية بالمدينة

\* مراكز المواصلات

\* محطة الاذاعة

\* سترال التليفونات

\* مصرف.

تعهد الابتكار فى الفنون لا يعلم وإنما يوجه ويسمح له بالانطلاق.. والشخص العطوف المستجيب الذى يعبر عن تقدير حقيقى للكتابة والتصوير والموسيقى التى ينتجها الأطفال هو خير معلم للأطفال ذوى المواهب الخاصة.. فلكى تكون المعلمة أو المعلم عندهما استعداد للاستجابة وتقبل ابتكار الطفل كتعبير عن آراء «طفل» من غير أن يفرض عليه أحد، مستويات الراشدين وتفسيراتهم ولكى تكون المعلمة عطوفا- صيغة فعول تأتى هكذا ولا يقال عطوفة- يجب أن تثبت أنها صديقة له، لأنه حين يعلم أنها صادقة فى مشاعرها نحوه سيقاسمها أفكاره أو مشاعره الشخصية عن طريق الكتابة وغيرها من وسائل التعبير واثقا أنها ستفهم المعنى الذى يود الإفضاء به.. ولكى تقوم بتقدير جهوده الابتكارية حق قدرها يجب أن تقوم بطبع كتاباته، وتعليق صورته، لونا من التقدير والاعتزاز، وأن تجعل التلاميذ يغنون أغنيته لأن التقدير والاعتراف أمران ضروريان.

إن المدرسة ليست للتلقين ولكن رسالتها تشمل تنمية الوعي الجمالي بتجيب الأطفال في الزهرة والشجرة والسحابة العادية والطيور الصادحة.. وملمس الفاكهة وقوام النسيج.. تعلمه صداقة الأشياء فإن الخبرات الحسية، موصل ممتاز إلى الخبرة الأصلية.

يجب أن تكون المدرسة، رافعة وجدانية إلى روائع الموسيقى وبدائع الشعر والنثر والسفر في مكنونات الأشياء الجميلة للارتقاء بالوجدان.. من رسالة المدرسة احترام بكاراة الإحساس عند الطفل فإذا كتب أغنية أو شكل صلصالا تقبلنا صنيعه بفرحة وتقدير أما إذا طلبنا منه تحسينه فإنه يفقد السرور التلقائي الذي بدونونه يتوقف التدفق الطبيعي ويصبح إنتاجه مجرد عمل وواجب مدرسي.

إن نهر الحياة يتدفق بالروائع وفي استطاعتنا أن نعين الطفل على الارتشاف والاعتراف من السيل الدافق بتقوية الملاحظة عنده.

ومن رسالة المدرسة، إرشاد الطفل الموهوب إلى تكوين علاقات اجتماعية بخدمة الآخرين.. وهنا يأتي دور اللجان المدرسية التي يستشعر فيها أعضاؤها أن إنتاج الجماعة قد يفوق إنتاج أعضائها فرادى والطفل الذي يظهر ميلا نحو الزعامة، على المدرسة أن تعلمه أن مسئولية الزعيم، استدراج الجماعة، في دماثة، إلى المشاركة في أعمالها واستخدام قدراتهم فيها مع عدم فرض آرائه التي وصل إليها، مقدما، على الجماعة.

وعلى البيت والمدرسة وصل الطفل الموهوب بأندية الهوايات والمنظمات كالفرق الموسيقية المدرسية والأندية الرياضية فالرياض إعداد واستعداد وهواية.

ومن رسالة المدرسة التعاون مع البيت ووضع البرامج له وتضهم بيئة الطفل الأولى وإزالة العوائق التي تعترض ظهور موهبته

وصفوة القول أن المدرسة يكون نجاحها أكمل وأسهل لو تحررت صغر حجم الفصول، وقلة الأعباء الإضافية المطلوبة من المعلمة وياحبذا لو كانت المعلمة تتمتع بالاتزان الوجداني والنضج وعمق الثقافة وسعة المعلومات الأساسية العامة وتنوع الخبرات وارتفاع الذكاء.. فالمواهب فضل من الله الخالق ولا يعرف الفضل إلا ذووه.